دراسة عقدة النقص الآدلرية لدي الشخصيات النسائية في الروايات العربية والفارسية (معتمدا علي آثار إميلي نصرالله ومنيرو روانيي بور)

الدكتورة زهرا فريد
أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الزهراء (س) طهران ، إيران
z.farid@alzahra.ac.ir

Investigation of Inferiority Complex in Female Characters Involved in Arabic & Iranian Novels (Based on works written by Emily Nasrallah & Moniro Ravanipour)

Zahra Farid
Assistant Professor In Arabic language and literature , Faculty of Literature , Alzhra university Tehran ,

الملخص:-

بعد ما أفاض فرويد وأتباعه كـ »يونغ» وآدلر في الحديث عن اللغة والشعور واللاشعور، أخذ التحليل النفسي تطور واتسعت آفاقه وتنوعت وسائله في دراسة النصوص الأدبية واستخلاص رموزها. في منهج التحليل التفسي يقوم فيه الناقد بتحليل ودراسة الزوايا الخفية والمظاهر النفسية الموجودة في شخصيات العمل الأدبي. في هذه المقالة ندرس ونقارن الشخصيات النسائية في الأعمال الأدبية لإميلي نصرالله الروائية اللبنانية ومنيرو رواني بور الكاتبة الايرانية الشهيرة في ضوء نظرية أدلر في علم النفس الفردي؛ إذ أن الروايات هذه تناقش بشكل عام الإحباط والنبذ عند النساء في المجتمعات التقليدية، حيث كانت تعاني النساء من الشعور بالنقص وانعدام الذات والوحدة. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي- التحليلي المبني علي النقد النفسي لآلفرد آدلر، وتبحث مسلّمة أساسية من مسلمات نظريته، وهي عقدة النقص وملامح تكوينها في الشخصيات النسائية وانعكاسات هذا الشعور في سلوكياتهن، ثم اتخاذهن آليات لتعويض ذلك الشعور. توصلت هذه الدراسة إلى أن العوامل التي سبّبت عقدة النقص في النساء الإيرانيات واللبنانيات، مثل أثر البيئة الاجتماعية والتقاليد القاسية والإحباط في الغرام، والفقر، مشتركة بين الكاتبين وطرق التعويض كذلك متحدة، بعضها سلبية مثل اللجوء إلى التعويض الخيالي والهروب من الأسرة والواقع المعاش في المجتمع وبعضها ايجابية مثل السعي وراء التعلّم واكتساب المكانة الإجتماعية وكذلك هناك بعض الإختلاف بينهما في عوامل ايجاد عقدة النقص وآليات التعويض بسبب الظروف الأسرية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية : النقد الأدبي ، التحليلي النفسي ، ألفرد أدلر، عقدة النقص ، إميلي نصرالله ، منيرو رواني بور.

Abstract:-

After Freud and his students- including Jung & Adler- discussed the relations between language, consciousness and unconsciousness, psychological study regarding literature and perception of its mysteries was developed in various branches. In psychological criticism, the critic investigates and analyzes the hidden angles and psychological impacts of characters in literary text. In the present paper, we examine and compare the female characters existing in the writings of Emily Nasrallah and Moniro Ravanipour, the great Lebanese and Iranian writers-. Descriptive-analytical research method has been used in this study and it is based on Alfred Adler's theory of individual psychology. The current study aims at investigating the most fundamental basis of his theory- i.e Inferiority Complex and its effects as well as ways to get rid of them among the female characters involved in this novel. The results suggest that the female characters involved in the works written by these two writers are common to many factors resulting in inferiority complex such as society and strict traditions, family neglect, poverty, the failure of love. For these women, compensation strategies are also divided into two negative (i.e. imaginary compensation and escape from reality) and positive (namely. Try to educate and attain social status). in addition, there are differences between reasons for the inferiority complex and compensation methods, due to the family and social differences.

Key words : literary criticism , Psychological Analysis , Alfred Adler , Inferiority Complex , Emily Nasrallah , Moniro Ravanipour

المقدمة

عُرف علم التحليل النفسي وبتبعه النقد التحليلي النفسي وتطبيق التحليل النفسي للآثار والأعمال الأدبية، منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد العديد من المفكرين وعلماء النفس مثل فرويد ويونغ وأدلر. وهؤلاء المفكرون قاموا بالاتجاه نحو الأدب واستخدامه لاستكشاف نفسية المؤلفين والشخصيات الأدبية لإثبات نظرياتهم، وهذا التحول سبّب ظهور النقد التحليلي النفسي بشكله المألوف اليوم (صنعتي،١٣٨٢ش:٥٠-٥١). علي سبيل المثال يمكن أن نذكر أن ألفرد أدلر صاحب نظرية علم النفس الفردي أي عقدة النقص، والتي نحن بصدد دراستها، استلهم وجهات نظره من أعمال شكسبير الأدبية وكتابات مؤلفين مثل دوستويفسكي وستندال (اسدربر، ١٣٧٩ش: ٣٤).

يسعى الناقد في النقد التحليل النفسي والذي يعتبر تخصصا مستحدثا بين عدة اختصاصات في الحقول الدراسية، لاستخراج الزوايا الخفية والسلوكيات المتعارضة والأعراض النفسية في الشخصية الخاضعة للتحليل بعد فحص وتمحيص النصوص الأدبية، وإعدادها للتحليل النفسي.

ينطوي النقد الأدبي التحليلي النفسي على طرح مواضيع في مجال اللاشعور الفردي والجمعي للأعمال الأدبية وهذا ما أكسبه مظهرا من التنبؤ بالمستقبل والرمزية (شميسا، ١٣٨٨ش:٢٠١).

يمكننا تقسيم النقد الأدبي التحليلي النفسي إلى أربعة أشكال حسب المجالات التي يعالجها، فهذا النقد يمكن أن يُطبّق على الكتّاب أو محتوى النصوص أو البنية النظرية أو قراءة القارئ، وأكثر أشكال النقد الأدبي هو من النوع الأول أو الثاني(إيجلتون، ١٣٦٨ش: ٢٦٤).

في هذه الدراسة نرمي إلى تحليل بعص الشخصيات النسائيه في رواية طيور ايلول من اميلي نصرالله و كولي كنار آتش من منيرو رواني بور انطلاقا من نظرية أدلر في علم النفس الفردي التي تميزت بمبانيها المنسقة، مما جعلتها تتألق في عالم النقد التحليلي النفسي، وبهذه الطريقة نصل إلى مفاهيم جديدة ضمن مجال التحليل النفسي في هذه الرواية. إن غوص الكاتبتين في تجارب الشخصيات النسائية وتفاسيرها الدقيقة لسلوكياتهن، وأسلوب حياتهن أوجد مجالًا مناسبًا للدراسات النفسية لتلك الشخصيات.

تهدف الدراسة إلى مناقشة اسباب إيجاد الشعور بالنقص لدى النساء وتجليات هذا الشعور الخفية والظاهرة والآليات المتخذة لتعويضها في رويات نصرالله و رواني بور.

أسئلة البحث

تتمثل أسئلة البحث في الأسئلة التالية:

١- ما أهم العوامل المؤثرة في تكوين وإنشاء الشعور بالنقص لدي الشخصيات النسوية في قصص نصرالله و رواني بور؟

٢- ما هي الآليات الدفاعية والنفسية التي اتخذتها النساء للتعويض والتخلص من الشعور بالنقص؟

فرضيات البحث

١- يبدو أن الجو الثقافي والاجتماعي المسيطر علي المكان الذي تعيش فيه النساء والأسرة والعادات والتقاليد الصارمة من جملة العوامل المؤدية الي ايجاد الشعور بالنقص في الإناث.

٢- يبدو أن النساء قد توسلن بعضهن بأساليب وطرق التعويض السلبي، مثل الهروب من المجتمع للتخلص من هذا الشعور و بعضهن توسلن بالطرق الإيجابية.

منهج البحث

يعتمد البحث علي المنهج التحليلي الوصفي علي ضوء نظرية علم النفس الفردي، ليدرس الشخصيات النسوية لرواية طيور أيلول للكاتبة اميلي نصرالله و كولي كنار آتش من منيرو رواني بور وانطلاقا من هذا قمنا باستخراج العبارات والجمل التي ترتبط بموضوع البحث وعالجناها علي اساس مسلّمات واصول نظرية أدلر، لكي ندرس أسباب الشعور بالنقص لدي النساء وطرق الخلاص منها، وايضا نمط الحياة وتأثير العلاقات الاجتماعية في تعويض هذا الشعور.

خلفية البحث

صدرت عدد من الدراسات في مجال اللغة العربية على ضوء نظرية أدلر مثل دراسة (دراسة وتحليل شخصية ابن الرومي على ضوء نظرية عقدة النقص لأدلر)، للباحث حسن مجيدي وآخرين (١٣٩٤ش)، نشرت في مجلة اللسان المبين، ودراسة (التحليل النفسي لهجاء الحطيئة على ضوء نظرية أدلر وهورناي) للباحث جهانغير أميري وآخرين (١٣٩٤ش)،مجلة

اللسان المبين، بالإضافة لدراسة (إشكالية التوفيق بين الدونية والتبعيض في قوة أدونيس والإبدائية انطلاقا من اتجاه أدلر النفسي) للباحث عباس نودهي وآخرين (١٤٣٩ش)،مجلة اللغة وآدابها التابعة لجامعة فردوسي، ودراسات مشابهة كثيرة قامت بدراسة شخصيات أدبية من منظور علم النفس الأدلري وتطبيقها في تلك الأعمال.

ولكن في مجال دراسة الشخصيات في الأعمال الروائية يمكننا الإشارة إلى دراسة (بازنمائي عقدة حقارت در شخصيت قهرمان داستان إمرأة عند نقطة الصفر تأليف نوال السعداوي) للباحثة صاعدي (١٣٩٤ش)، نشرت في مجلة نقد الأدب المعاصر العربي التابعة لجامعة يزد، في هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة العوامل التي سببت ايجاد عقدة النقص في الشخصية المحورية للقصة وآليات تعويض هذا الشعور للتخلص منها، وتوصلت إلى أن بطلة القصة قامت بالتعويض الكاذب بهدف الخلاص من هذا الشعور مما سبّب ظهور مشاكل عديدة في حياتها.

وفي مجال أعمال إميلي نصرالله هناك بحوث كثيرة، أجريت من قبل الباحثين مثل: (الهجرة والمرأة في رواية الإقلاع عكس الزمن لإميلي نصر الله) للباحث كنجيان وآخرين(١٣٩١ش)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها التابعة لجامعة سمنان، اذ أن موضوع هذه المقالة يدور حول المرأة والتحديات الاجتماعية التي تواجهها، وموضوع الهجرة في آثار إميلي نصر الله وانعكاساتها السلبية والإيجابية، من جملتها قضية الهوية.

ودراسة (أساليب رواية الحوارات القصصية في رواية "الإقلاع عكس الزمن" لإميلي نصر الله)، للباحثة ناهيد نصيحت وآخرين(١٣٩١ش)، مجلة الأدب العربي التابعة لجامعة طهران، حيث قام الباحثون بدراسة أسلوب الرواية المذكورة وفق أسس الرواية، وكيفية انتقال حوار الشخصيات وتبادل الحديث بينهم.

وفي خصوص أعمال رواني بور الأدبية كذلك عدة دراسات:

دراسة الشخصية في رواية كولي كنار آتش لمنيرو رواني بور بناء علي نظرية صحوة البطل الذاتي والنماذج البدائية لمليحة علي نجاد و آخرين (ش١٣٩٩)، مجلة دراسة النص الأدبية التابعة لجامعة طباطبايي، في هذه الدراسة قام الباحثون الي معالجة الشخصيات علي أساس نظرية يونغ وبيرسون ووصلوا الي أن شخصية آينه بطلة القصة تطوّرت ضمن

أحداثها وسافرت من مرحلة المعصوم واليتيم الي مرحلة الحامي والعاشق والغازي والباحث.

كذلك مقالة التقاليد وانعكاسها في كولي كنار آتش (دراسة التقاليد وطريقة ردة فعل الشخصيات النسوية تجاهها) من أحمد غني بور ملك شاه وآخرين(١٣٩١ش)، مجلة اللغة والأدب الفارسي جامعة آزاد الإسلامية، وحدة فسا، يعالج المؤلفون في هذه الدراسة الظروف التي تعيشها النساء ضمن المجتمعات القبيلة حيث تضحين أمام صنم المعتقدات الزائفه التي تسود علي المجتمعات التقلدية والطرق التي تتوسل بها النساء لمواجهة هذه الأزمات كالقيام أمام التقاليد البالية ورفض سلطة الرجال في المجتمع الذكوري للحصول علي الحرية والانعتاق من الواقع القاسي.

وأيضا مقالة فائزة سواري وآخرين.(٢٠٢٠م). تحت عنوان (تجليات النسوية ولغتها في أعمال كوليت خوري ومنيرو رواني بور)، مجلة اضائات نقدية التابعة لجامعة آزاد الإسلامية، وحدة كرج، قام الباحثون بمقارنة المحتويات واللغة الأدبية النسوية عند الكاتبتين ووصلوا الي وجود اشتراكات كثيرة بينهما في الموضوع وبعض اختلافات في الأسلوب بحيث اسلوب خوري أسلوب أدبي سهل ولكن أسلوب رواني بور صعبة، متداخلة، ممتزجة فيها الخيال بالواقعية.

أساسا علي الدراسات السابقة فإننا لم نجد دراسة تطرقت للنقد الأدبي التحليلي النفسي علي أساس نظرية أدلر في الأعمال الأدبية لإميلي نصر الله و منيرو رواني بور ومقارنتها؛ ولهذا تعتبر هذه الدراسة دراسة من منظور جديد ومختلف، حيث تسعى للوصول إلى إثراءات جديدة في أعمال هاتين الكاتبين.

ملخص رواية طيور ايلول

تُعد رواية طيور أيلول أولى مؤلفات إميلي نصرالله الروائية والتي نُشرت في عام (١٩٦٢م) وحازت على ثلاث جوائز أدبية، وتمّ تجديد طبعها لسبع مرات وهي من روائع الأدب العربي. ولقد أبدت المؤلفة في هذه الرواية تصويرا دقيقا وبديعا؛ لترسم جوانب من الحياة في قرية تقع في جنوب لبنان، وتطرقت إلى الحياة في أجواء القرية ومعاناة أهلها من ظروف الحياة القاسيية من حيث الثقافة والظروف الاقتصادية الصعبة والقيود التي تفرضها العادات والتقاليد هناك، والفجوة العميقة بين الجيل السابق والجيل الجديد.

وكما يدل عنوان الرواية فإن رواية طيور أيلول تدل على نوع من الطيور التي تتجمع على شكل أسراب لتهاجر في شهر أيلول عندما يكون الشتاء على الأبواب، أي الظروف المناخية المفروضة تُجبر الطيور على الرحيل والاغتراب، وهذا إن دل على شئ، يدل على هجرة شباب القرية والهروب من الطقوس القاسية فيها إلى عالم أوسع خارج القرية للجري وراء لقمة العيش، وتحكي لنا عن قصص الضيعة وأهلها وقصص حب الشباب غير المكتملة أو الفاشلة، والتي تتحول في النهاية إلى الإحباط وأحاسيس مكبوتة في الأعماق، هذه الرواية تنقل لنا النظرات الخاطئة تجاه المرأة وحرمانها من حقوقها في المجتمع القروي. واستخدمت المؤلفة لروايتها (أول شخص) أو الشخصية المحورية أي البطلة التي تسرد الرواية من وجهة نظرها. الراوية هي فتاة تُدعى منى، والتي بعد هجرتها إلى المدينة شرعت في سرد تفاصيل يومياتها في القرية، الذكريات التي على الرغم من أنها تذكر فيها نقاء وصفاء وطبيعة القرية الآسرة إلا أنها تحكي هموم ومشاكل القرية كالفقر والبطالة وآلام الفراق والهجرة بأسلوب واقعي وانتقادي، هذه الرواية تنقل لنا قصص البنات اليافعات والشابات وأمنياتهن بالزواج والاقتران وكيف يتحول الحب إلى وهم. الفتيات اللاتي كن ضحية للأفكار الخرافية والتقاليد المسيطرة التي تتحكم بكل الأمور، فلامناص لهن في النهاية الا الزواج القسري من رجل لا علاقة حب بينهما.

ملخص رواية كولي كنار آتش (الغجر عند النار)

رواية كولي كنار آتش من أعمال منيرو رواني بور ألفت في سنة ١٣٧٨ للهجرة وحصلت علي عدة جوائز منها جائزة مهرجان الأدب سنة ١٣٧٨للهجرة كأثر ذي قيمة. «آينه» (المرآة) بطلة هذه الرواية، شخصية نشطة تنتمي الي قبيلة غجرية وقعت النساء فيها تحت طائلة الاستغلال من جانب الرجال. تقام كل ليلة في هذه القبيلة التي تستقر اطراف بوشهر(مدينة من المدن الجنوبية) حفلة ترقص فيها النساء من امثال آينه وأمّها أمام الضيوف الذين يقدمون من المدينة، من أجل توفير تكاليف الحياة. في إحدي تلك الليالي تعرّفت آينه علي أحد الزوار الذي كان كاتبا يجمع القصص العامية فوقعت في شركة حبّه. فبعده ذهبت آينه الي بوشهر قاصدة بيت الرجل الغريب لتحكي له قصص القبيلة ليجمعها في كتاب اسمه آينه. عندما اطّلع رجال القبيلة علي ذهابها الي بوشهر قاموا بارتكاب الأعمال العنيفة ضدها منها التعذيب والتنكيل والطرد عن المجتمع القبلي بسبب تمسكهم بالعادات

والتعصبات القبلية. فلذلك تشرّدت آينه منتقلة بين بوشهر وطهران حيث كانت تواجه أنواع الهموم والمشاكل والأخطار، إلا أنها تجاوزت الآلام وسارت نهائيا في طريق الكمال فأصبحت رسامّة مشهورة وبعد مرور عدة سنوات عادت آينه الي بوشهر لتجد قبيلتها وأباها. ولكن علمت أنهم حلّوا في بوشهر وامتنعوا عن الرحلة. في المشاهد الأخيرة من الرواية نري آينه جالسة بين أفراد قبيلتها وهم يتجاذبون أطراف الحديث ويتحدثون عن الذكريات القديمة وينظرون الي صور آينه منشورة في المجلات والصحائف.

هذه القصة تحكي لنا الآلام والمصائب التي تتعرض لها البنات والنساء في المجتمعات التقليدية التي لا تقدّر لهن أبسط الحقوق الفردية والإجتماعية وكذلك تنقل قساوة الرجال وظلمهم تجاه المرأة وابتعادهم عنها بعد انتهاء منفعتهم دون النظر لمشاعرها. اعتبرت منيرو رواني بور من الرائدات اللاتي تصدين للظلم الذي حاق بالمرأة في ايران وهي بأسلوبها الخلّاب تتخذ من مسقط رأسها (المدن الجنوبية) مسرحا لأحداث رواياتها وقصصها.

الأسس النظرية

علم النفس الفردي لأدلر١ ونظرية النقص

علم النفس الفردي مصطلح في علم النفس يُطلق على إحدى نظريات الشخصية٢التي أُسست على يد الفرد أدلر٣ (١٨٧٠-١٩٣٧) عالم النفس النمساوي، هذا الاتجاه النفسي ذو وجهة نظر مستقبلية بالنسبة للإنسان. ومن خصائصه أن عقليات وأفكار الإنسان تجاه مستقبله تسبب تكوين شخصية الإنسان، ومن ثم تترك آثارا على سلوكيات الأشخاص. ألفرد أدلر هو أول من لفت الانتباه للجانب الاجتماعي للإنسان، وكان في بدايات أعماله العلمية موافقا لأفكار فرويد، وعضوا في جمعية التحليل النفسي (وينه) لفترة وجيزة ثم تولّى رئاستها لمدة وعندما قدم نظريته المغايرة لنظرية فرويد حول طبيعة الإنسان وسلوكه اصطدم بأعضاء الجميعة واضطر في النهاية على الاستقالة لينطلق في بحوثه المستقلة ونظامه الذي كان في الجهة المغايرة لتحيلات فرويد ونظريته (سيأسي،١٣٧٩ش:٨١). وخلافا ما لما جاء في تسميه نظرية أدلر بعلم النفس الفردي فانه يعزو معياره للشخصية والفردية للمجتمع والنسيج الاجتماعي (لعبيدي،١٩٩٠:١٧٠).

إن نظرية أدلر في علم النفس الفردي تتشكل من جزئين: نظرية عقدة النقص وأسلوب الحياة. وقد عدّ أدلر الإحساس بعقدة النقص هو المصدر العاطفي لكل الجهود والمساعي

الضرورية للإنسان. فالنمو والتطور جهود يقوم بها الإنسان من أجل التغلب على هذا الشعور بالنقص سواء أكان تخيليا أم واقعيا. في الحقيقة كان أدلر يعتقد أن الإحساس بالعجز أو النقص والفعاليات الناتجة عن ذلك كلها لتعويض ذلك النقص وسببا لجميع التطورات التي تحدث في حياة الإنسان. (هيغل وزيجلر، ١٣٧٩ش:١٠١)

ركّز علم النفس الأدلري على خلاف التحليل الفرويدي الذي يؤكد على تأثير ماضي للأشخاص في تكوين الشخصية، «على الشعور بالنقص، والعوامل الاجتماعية والسعي من أجل التفوق والكمال» (بروجسكا، ١٣٨٩ش:١١٣)

على أساس نظرية أدلر على الرغم من أن الشعور بالنقص أحيانا يسبب تطور الشخص في المجتمع، وله التأثير الإيجابي عليه في تعامله مع المجتمع، إلا أن هذه العقدة إذا لم يُسيطر عليها الإنسان، ولم تُستخدم في الأعمال المفيدة، فقد تتعمق تدريجيا وتتحول إلى عقدة التميز أو الكمال٤ والتي تعتبر نوعا من الاضطرابات العقلية النفسية أو العصبية. إن الشخص المصاب بعقدة النقص أحيانا قد يؤذي نفسه والآخرين، وأحيانا يسبب حب التميز والكمال المفرط أو الاعتزال والانطواء عن المجتمع.

ولكن كيف تتشكل مشاعر النقص؟ من وجهة نظر أدلر« عقدة النقص يمكن أن تنشأ، وتتكون بثلاث طرق في الطفولة: النقص العضوي، الدلال والاهتمام المفرط، الإهمال. واستنتج أدلر أن الشخص المصاب بعجز أو قصور في عضو ما يحاول في الغالب تعويض هذا النقص أو العجز بالعمل على تقوية هذا العضو بالمزيد من العمل أو التدريب، وكذلك الدلال الزائد يمكن أن يقود إلى الشعور بالنقص، إذ يكون الطفل هو مركز الانتباه في البيت، تشبع كل حاجاته، وتحت هذه الظروف، من الطبيعي أن تنشأ لدى الطفل فكرة بأنه هو الشخص الأكثر أهمية في أي موقف. أما النوع الثالث من الأطفال فهم الذين ينشأون في ظل الإهمال الزائد، فيكون الطفل منبوذًا ومهملًا، وتتسم طفولته بانعدام الحب والطمأنينة، بسبب عدم اكتراث الوالدين أو تخاصمهما كنتيجة لذلك، قد تنمو لدى الطفل مشاعر الدونية، وبالتالي فهو يفقد الثقة بالوالدين، وينظر لكل شخص بأنه غير موضع ثقته ويحاول تعويض هذا النقص بأشكال شتى منها العنف مع الآخرين» (هيكمن ٢٠٠٩ منقول عن شولتز وشولتز،١٤٠٠ش: ١٩٦).

وسنقوم في بحثنا بدراسة بعض المميزات والأسس البنيوية لنظرية علم النفس الفردي عند أدلر مثل (الشعور بالنقص، والتعويض، ونمط الحياة) وتطبيقها على شخصية منى بطلة رواية طيور أيلول لإميلي نصرالله وآينه بطلة وشخصية محورية في رواية كولي كنار آتش لمنيرو رواني بور.

دراسة عوامل إيجاد الشعور بالنقص لدى الشخصيات النسائية

إحدى الظروف التي يمكن أن تكوّن الشعور بالنقص، وعلى مستوى أوسع وأعمق تسبّب إيجاد عقدة النقص في الشخص هي الظروف والمشاكل الاجتماعية.

في رواية طيور أيلول تحكي الصبية منى عن حياتها في ضيعة لبنانية بين البحر وجبل حرمون، وهذه الشخصية في بيئتها الاجتماعية والأسرية، ومن خلال علاقاتها بالمجتمع القروي من الجيلين القديم والجديد تواجه ثلاث سلوكيات اجتماعية شاذة، إحداها النبذ أو الإحساس بأنه غير مرغوب فيه و إهمال الأسرة والمجتمع الذي ينظر للأنثى نظرة دونية باعتبارها تحتل مكانة اجتماعية أقل من الرجل. أما السلوك الثاني التي واجهته منى فهي قصص الحب الفاشلة أو غير المكتملة، والتي لم تعان منها منى فقط، بل الأخريات من بنات القرية، وهي الظاهرة السائدة في ذلك المجتمع القروي. وثالث هذه الحالة أو السلوك التي عاشته بطلة القصة هو الفقر، والذي كان له الدور الفعّال في إيجاد مشاعر النقص عند هذه الشخصية.

أما بالنسبة لشخصية آينه هي كذلك تعاني من نفس المشاكل والآلام التي تعاني منها مني. لو كانت مني تعيش في القرية، تعيش آينه بين أحضان قبيلة لا تستحق للمرأة أي حق من الحقوق الإنسانية. القبيلة التي تقوم بحماية الشخص لو يراعي تقاليدها وسننها و لو يخالفها تنبذه وتطرده. إهمال الأسرة وعدم عنايتها بالمرأة وفق سنة القبيلة، التعذيب والتنكيل، الفقر والحرمان من أدني وسائل الحياة والحب الفاشل كلها من العوامل التي أدّت الي ايجاد الشعور بالنقص في شخصية آينه ومثيلاتها في المجتمع القبلي الذي تصوّره الكاتبة.

الطرد والنبذ (أو التهميش الاجتماعي)

الاستبعاد الاجتماعي، و كما يُعرف باسم التهميش الاجتماعي، وهو الحرمان الاجتماعي لمدة طويلة والإبعاد على هامش المجتمع، ومن نتائج الاستبعاد الاجتماعي هي:

أن الأفراد أو المجتمعات المتضررة يمنعون من المشاركة الكاملة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية للمجتمع الذي يعيشون فيه. إن التهميش الاجتماعي يحدث عندما يعاني الأفراد أو المجموعات من ظروف مثل البطالة أو العنصرية أو المرض أو ...(فيروز آبادي وصادقي، ١٣٩٢ش: ٢٣٤).

تعيش منى الشخصية المحورية لرواية طيور أيلول في أسرة قروية مسيحية، الأب هو رب الأسرة الذي يرسم الخطوط الأساسية للأسرة والأم هي المطيعة والخاضعة فقط، وتقوم بتدبير شؤون البيت، أو معاشرة نساء القرية والاشتراك معهن في مجالسهن، علاقة منى بأبيها لا تتعدى الحوارات الباطنية، ولم تحدث بينهما محاورات واقعية، فالأب لديه أفكار وآراء عامة حول المرأة ومكانتها، ومنى باعتبارها من الجيل الجديد في القرية تختبئ خلف كواليس الحياء والخجل، ولا تستطيع إبداء احاسيسها و أفكارها: «نظراته القاسية المستقرة إلى الوجود والإنسان، وإلى ابنته بنوع خاص» (نصر الله، ١٩٩١م: ٣٥). تعيش منى في أسرة كهذه تحكمها عادات وتقاليد أهل القرية وتنظر إلى نفسها بأنها غير مُجدية وغير مهمة في مسيرة الحياة البشرية، فالشعور بالكآبة والدونية والنبذ أنشأ لديها مشاعر النقص وعدم الثقة بالنفس في البوح بأفكارها ومتطلباتها وميولها.

كانت الظروف الاجتماعية السائدة في القرية تزيد من تأجيج مشاعر النقص هذه عند منى، وكان أكثر شباب القرية إما بصدد الهجرة أو قاموا بالهجرة بالفعل، ولكن الشابات كنّ في ظروف أخرى، فلم تسمح لهنّ الطقوس بإكمال تعليمهن أو الزواج ممن يرغبن أو حتى الهجرة، التحدث عن الحب أو حتى التفكير فيه خاصة للفتيات يعتبر خطيئة كبيرة لا تُغتفر، والعاشق إنسان دنس وسيكون عاراً على أهالي القرية حتى آخر عمره: « الإنسان كائن دنس، والحب خطيئة مميتة (المصدر نفسه،١٥٠). لم تجد منى من ناحية طريقا للتحدي مقابل العقليات البالية والعادات والتقاليد المسيطرة ولم تتصور في نفسها القدرة على حل مشاكلها، ومن ناحية أخرى أُصيبت بالتردد بالنسبة لكل الأصول وتيارات التقاليد القروية: «كيف يمكن أن يكون الإنسان دنسا؟ (المصدر نفسه، ٣٥)؛ ولهذا ظلت منى تعيش تمزقا جليّا بين الموجود والمنشود، بين قرية أنجبتها واحتضنتها بكل ما فيها من عفوية وبساطة وتناقضات، وعالم بعيد، لا تكاد تراه، وإنما تحلم به، وكانت حائرة بين

طقوس القرية القديمة وثقافة المدينة الجديدة التي تعرفت عليه من خلال الذين هاجروا من القرية.

يعتقد أدلر أن العادات والتقاليد الثقافية - وليست الجينات الثقافية- تؤثر على الكثير من الرجال والنساء حتى يركزوا على أهمية الذكورة بصورة إفراطية، الحالة التي سماها " إثبات الرجولة أو نزوع الرجولة "، في بعض المجتمعات يعتبر الرجال والنساء المرأة كائنا حقيرا، وتُعد هذه الحالة المؤسفة سببًا لكثير ممن التخاصمات بين الزوجين، والشعور بالتميز وعقدة النقص(أدلر، ٢٠٠٥:١٣٥).

المرأة في المجتمعات التقليدية كالمجتمعات الريفية لم تجد بدا إلا أن تتبع ثقافة السلطة الرجولية، حيث يُنظر إليها بأنها غير مجدية بسبب جنسيتها، وليس لها أي حق في إبداء رأيها في القرارات المتخذة بمجريات الأمور، وفي مسار القدرة التي يتمتع بها الرجل، فالمرأة ذاتها برضوخها تحت قوانين وقوالب العادات والتقاليد والثقافات البالية تؤجج شعورها بالدونية والنقص. وهي بدورها تنقل هذا الشعور إلى مثيلاتها. على سبيل المثال عندما تتحدث منى لصديقتها مرسال عن أحلامها، تجيب مرسال: « ماذا يقول الناس؟ تذهبين إلى المدينة وتعيشين فيها وحدك مثل الشباب؟ لا شك أنك تمزحين يا منى!.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٢٤)، هذه العبارات تبين أن فتيات القرية لم يدركن بعد قدرتهن كفاعلات للدخول في مجتمعات أوسع، ولم يقدرن أن يكوّن لأنفسهن ذاتا مستقلة، وهوية مؤثرة بسبب التحقير والإحباط الاجتماعي الذي يواجهنه.

أما شخصية آينه في بداية قصة كولي كنار آتش فشخصية ضعيفة تتفاخر بهندامها وشعورها الجميله فقط ولاتري نفسها الا سلعة في أيدي الرجال.وهي لا تتمتع باستقلال تام بل قابعة تحت طيّات وطبقات متعدده من النظام الذكوري وتحت سيطرة وهيمنة شخصية والدها اولا وبقية رجال القبيلة ثانيا: «عندما ارتفع صوت القش، انتزعت تنورتها من يد ماه زاد فرغبت في الرقص من مكانها، ولكنها رأت نظرة الأب الثقيلة عند باب الخيمة...»(رواني بور،١٣٨٢:٢٠)

فلذلك لم تبرز تلك النواة الحقيقية و الجوهر الرئيسي لوجود آينه من تحت القيود الإجتماعية و الثقافية. إنها عاجزة عن إخذ حقها والمقاومة ضد الظلم ومع أنها قد شاهدت عاقبة النساء من حولها من أمثال أمها التي ماتت مبكّرة وزوجة أبيها «كيميا» حيث

تزوّجت وهي صغيرة، إلا أنها لا تستطيع أن تقوم بأمر تكون نتيجته الإخلال بالوضع الموجود. كأن التسامح أصبح من شيمتها في الحياة:«إنها تعرف قانون القبيلة، لم تر ولكن قالت أمّها، في التشردات المتنوعة وفي الرحلات. عندما كانت تكبر وتشير متنهدة الي الفتيات اللاتي في أيديهن الحقائب...» (نفس المرجع:١٢).

و كذلك للنساء أنفسهن دور ريادي في التعميق وإعادة إنتاج القوانين البالية التي سنّها الرجال وانتقالها من جيل الي جيل حتي أصبحت قانونا غير مكتوب وجزءا من كيانها وافكارها ومعتقداتها، لايمكن أن تتخطاه: «والصبية كأنّها إمرأة خبيرة تقدمت به السن، تذعن لقوانين القبيلة علي مضض وتهمس قصة الرسوم والتقاليد في آذان الأخريات»(نفس المرجع: ١٣).

الظلم الذي طرأ علي آينه من جانب رجال القبيلة بعد أن اطّلعوا علي ذهابها الي بوشهر والي بيت الرجل الغريب لتحكي له قصص القبيلة العامية، يعتبر من أشنع أنواع التهميش والطرد ضد جنس المرأة. هذه الثقافة الذكورية الطاغية التي تغلغلت الي أعماق روح القبيلة أدّت الي تعذيب آينه وضربها لعدة أيام مستمرة حتي لم يترك منها الا جسد بلا روح :«اليوم الأول يوم الأب يضرب حتي يتعب ثم يأتي دور رجال القافلة...يا رجال القبيلة الطيبون والعطشان، أين ابتسامتكم؟ »(نفس المرجع:٣٥).

الفشل في الحب

من الأمور التي تساهم في إيجاد مشاعر النقص والإحباط في شخصية منى كان اليأس والإخفاق في العثور على الحب الحقيقي أو الحب التام٥، «الحب الذي يحوي ثلاثة عناصر أن يكون من صميم الفؤاد ويتصف بالشوق والالتزام، الحب الكامل والقابل للثناء» (ستنبيرج ، ١٩٨٦م: ١٢٤)

كانت منى تبحث عن هذا الحب، ولكنها لم تجده، إن إحباط منى في العثور على هذا الحب نشأ عندما فشلت قصة حب مرسال وراجي. من وجهة نظر منى فإن حب مرسال لراجي من النوع الكامل، ولكن حب راجي لمرسال حب غير واقعي، بل علاقة حب من النوع البسيط الذي يخلو من العلاقة الوطيدة والالتزام الطويل الأمد، أي في حدود صداقة و إعجاب فقط: « كان حبه لمرسال شبيها بحبه للأرض حبا فطريا ساذجا لا يصمد أمام عواصف الطموح» (نصرالله، ١٩٩١م: ٩٥).

كل إنسان يحتاج في أعماق وجوده إلى مَن يفهمه، ويحبه من صميم فؤاده، ويعرف حاجاته، ويتجاوب مع ميوله العاطفية، (انظر صادقي وزملاؤه، ١٣٩٢ش: ٧٢). عندما لم تجد منى الحب المنشود حولها اتجهت لذاتها، وحاولت أن تخلق مفهوم الحب الخالص والكامل في طيات وجودها واستفادت منه لملء فراغها النفسي: « لقد أحببت كثيرا يا مرسال، كان الحب مصدر قوتي التي تعجبك. إن معاصر العنب تعج بالحياة في فصل الخريف، ولكن للحب معصرة دائمة في قلبي. إننا كنا نختلف في أسلوب الحب يا مرسال» (المصدر نفسه،٣١).

إن الإخفاق في العثور على الشخص الذي يتمتع بتلك الصفات المثالية، وعدم وقوع حدوث الحب الواقعي من الأسباب التي تُوجد الشعور بعقدة النقص والدونية .

القرية التي تعيش فيها بطلة الرواية منى تسيطر عليها طقوس تمنع البوح بالحب بين الصبي والصبية سويا، وكان إظهار الحب نوعا من الخطيئة وبالطبع كان هذا القانون يطبق على الأنثي بصورة أشد، زواج الشباب في القرية كان يخضع لأعرافها، والقرار الذي يتخذه الوالدان خاصة السلطة الأبوية، ولم يكن هناك مجالا للاهتمام لمشاعر الشابين المقبلين على الزواج بتاتا، ولم تستثنَ منى من هذه القاعدة القاسية، ولو أنه لم يواجهنا على طول الرواية أي حديث أو إشارات واضحة عن أي مشاعر حب من قبل منى لأي شاب في القرية، إلا أنه نجد في عرض مشهد من حفلة زفاف ابن عم منى حالتها التي تدل على الارتباك والضيق: « لم تعرف أمي لماذا انزويت أبكي في عرس "سعد " سعد ابن عمي تزوج... فهربت من العرس ولجأت إلى غرفتي أبكي» (نصرالله، ١٩٩١م: ٤٤). ظروف منى النفسية خلال عرس ابن عمها تشير إلى أنها بحاجة إلى أن تُحِّب أو تُحَّب، ولكن بسبب الأجواء الثقافية والاجتماعية القاسية التي تخيم على القرية ووثوقها من النهايات الفاشلة لقصص الحب، رجّحت كبت مشاعرها العاطفية للأبد.

و كذلك آينه- الشخصية المحورية للقصة التي ترويها رواني بور عن البيئة الإيرانية الجنوبية قبيل الثورة الإسلامية- أصبح مصيرها في الحب كمصير مني في رواية نصرالله. الصداقة والألفة التي جمعت بينها وبين الرجل الغريب الذي جاء من طهران الي البدو لقضاء العطلة، أصبحت علاقة فاشلة وانتهت بالحزن والألم. وكما جاء في قصة مني، أنها كذلك لا تستطيع أن تبوح بمشاعر الحب أمام أعين القبيلة خاصة رجالها، فلذلك ذهبت الي

بوشهر لكي تكون بعيدة عن عيون الناس. فوقعت في حبّ الرجل الذي لا تعرف منه شيئا الا وهو جاء من طهران، فبسببه انتبذت عن القبيلة ولكن حينما ذهبت الي المدينة لتزور الرجل الغريب مرة أخري، وجدت أنه رحل وذهب الي طهران دون أن يتصل بها مرة أخري. بعد هذه المفاجئة تعرضت آينه بصدمة عميقة جعلتها تعاني من الشعور بالألم والهزيمة، حيث عزمت أن تتجه الي طهران لتجد المسافر. يعتقد علماء النفس بأن الإناث بعد الفشل في الحب يتعرضن للصدمات العاطفية أكثر من الرجال، لإنّ طبيعة المرأة تختلف عن الرجل ولديها وجدان وإحساس أعلي من الرجل وتتأثر مشاعرها بالسهولة بعكس الرجل، فهم أكثر صلابة وتماسكا. ففي القصة التي حدثت بين آينه وبين المسافر نري أنه يعود الي موطنه بالسهولة ويتقبل الانفصال بالأريحية ولكن آينه يصعب عليها تصديق انفصالها عنه مما جعلها تقصد طهران لزيارته.حب الرجل الغريب لآينه حب غير حقيقي وتبدو ما كانت الا ارضاء للغرائز الجسدية والعاطفية والجنسية للشخص:«الرجل يضع ساعديه علي السياج وينحني أكثر، يتحدق ويقول بالبطئ: «ذهب»، كأنك قد وقفت علي حافة هوة عميقة، أرجلك تهتزّ كجذعين الخيزران الرقيقن في مهب الريح» (رواني بور، ٤٩:١٣٨٢).

موضوع الزواج القسري من الموضوعات التي نجد صداه في هذه الرواية أيضا. النساء في المجتمع البدوي الذي تصوّرها الكاتبة مرغمات علي الزواج من رجل علي خلاف رغبتها. فزواج كيميا من والد آينه في رواية كولي كنار آتش خير مثال علي هذه الظاهرة التي تعاني منها المرأة:« لقد ولدت كيميا وآينه معا في واد قريب من مدينة غناوة، قبل أربعة أعوام، عقد شيخ طاجيكي قران كيميا علي والد آينه، والدة آينة كانت حاضرة في مجلس الفرح رغم إسوداد رجليها وفقدهما القدرة علي الحركة. تعضّ شفتيها حتي لا يسمع أنين وجعها الحاضرون، لكي لا تكون مصدر شؤم لمجلس الفرح رقصت آينة للحاضرين بطلب من أمّها التي كانت تشد قبضتها علي حفنة من تراب زاوية المخيّم من شدة الوجع وعيناها تزداد سواداً» (رواني بور، ١٣٨٢: ١٥).

كل هذه المشاكل والأزمات كالطرد من قبل المجتمع، الإهمال من جانب الأب، فقد الأم وعدم التمتع بأبسط حقوقها في التعليم أدّت في النهاية الي شعور آينه بالكابة والألم والحسرة وانعدام الذات والشعور بالنقص.

الفقر

إن فقر وعجز الأسرة عن تلبية حاجات الأطفال والأولاد والبنات يمكن أن يكون من أسباب إيجاد الشعور بالنقص عند الفرد.

أهالي القرية التي تسكنها منى يعانون من الفقر وجدب العيش المتواصل فيها، مما سبب الإضرار بالمحاصيل الزراعية، وما تبقى منها لم تُدرّ دخلا للفلاحين في بعض السنين بسبب عدم دعم الحكومة، فالفقر والعوز والعسر هو العامل الأساسي لهجرة شباب القرية للمدن: « فالعطاء الشحيح لا يشفي الغصص المحشرجة في صدور يدقها الطموح في كل لحظة» (نصرالله، ١٩٩١م: ٩٢).كما دفع الإعسار إلى زواجات إجبارية: « وتعلم أنها ضحت، وضحت بالكثير، لإنقاذ عائلتها من الفقر» (المصدر نفسه، ١١١).

معاناة شباب القرية من الفقر والظروف المعيشية القاسية من ناحية ومواجهتهم للمهاجرين الذين يتمتعون بالثراء والرفاهية، سبب إيجاد الشعور بالنقص والعجز عندهم وعاقبة هذا الشعور كان هجرة الشباب من القرية والانفصال عن جذورهم وثقافاتهم، وكانت منى باعتبارها من فتيات تلك القرية تعاني من هذا الشعور.

في رواية كولي كنار آتش يتمثل الفقر وما يتعلق به من سوء حالة المعيشة، في فقرات مختلفة، حينما تتحدث الراوية عن سذاجة العيش لدي الغجر في الحياة المتنقلة بين المخيمات وكذلك عن الأعمال التي تقوم بها النساء الغجريات للحصول علي لقمة العيش كالرقص والكهانة (قراءة الطالع)، الحجامة وحتي السرقة. حيث تسرق آينه في يوم من الأيام عندما رافقت أمّها في الذهاب الي المدينة قلم وكتاب صبي أو أعطت مرة أخري صبية أسورتها الفضية لكي تأخذ منها قلما وكتابا.(رواني بور، ١٣٨٢: ١٤،١٥) وصف حياة الغجر وكيفية معاشهم مثل أطعمتهم وألبستهم يدلّ علي الفقر وعبئه الذي تتحمله خاصة المرأة نتيجة حرمانهنّ من الإمكانيات والتحيّزات الجنسانية الموجودة في هذه المجتمعات التقليدية.

التعويض٦

التعويض في علم النفس هو استراتيجية يحاول من خلالها الشخص، بصورة واعية أو غير واعية، التغطية علي ضعف أو رغبة أو إحساس بعدم الكفاءة أو العجز في أحد جوانب الحياة، عن طريق الإشباع أو التفوق في جانب آخر. التعويض يمكن ان يغطي عيوبًا حقيقية أو متخيّلة، فردية أو فيزيولوجية، التعويض الإيجابي يساعد الشخص في التغلب على

الصعاب في حين أن التعويض السلبي يمكن أن يعزز الإحساس بالنقص والدونية (فيست، ١٣٨٨ش: ١٠١). عندما يكافح الانسان ويسعي للتغلب علي عجزه حسب طريقته الخاصه وبأساليب صحيحة وفي نطاق طبيعي، فانه يكون قد قام بتعويض ناجح والذي نطلق عليه التعويض المباشر(عبد المنعم، ١٥٢:١٩٧٥).

من وجهة نظر أدلر فإنّ الإعتراض من غير وعي والهروب من تكوين علاقات اجتماعية والتعويض عن طريق التوسل بالتميز الفوري (مثل الانتقام والسبّ والشتم والغضب والاعتداء و...) ورفع مستوى الانتظار والتعويض الافترائي من ردود الفعل السلبية بالنسبة لعقدة النقص،، وبالطبع في حالة ارتفاع مستوى الوعي والإدراك يتم التعويض الإيجابي مثل تعديل السلوك العدواني (منصور، ١٣٩٢ش: ١٤٥).

انواع آليات التعويض في شخصية منى وآينه

يعتقد آدلر أنّ الاسلوب والنمط الذي يتخذه الانسان للتعويض عن الشعور بالنقص يأخذ جذوره من أسلوب حياته وكيفية تعاملاته في المجتمع. «شخصية الفرد التي تتبلور في فترة الطفولة والتي تسيطر على سلوكياته وردود فعله. إن نمط الحياة هي الشخصية عمليا»(روي، ١٣٨٩ش:٣٦). إن طريقة أسلوب الحياة أو نمط الحياة «تعكس الاتجاهات والقيم العامة للفرد أو الجماعة، وتبين العادات والاتجاهات والمعايير الأخلاقية، والمستويات الاقتصادية وغير ذلك كلها تصوغ الأفراد والجماعات»(مهدوي كني، ١٣٩٠ش:٥١)

بعض الناس يرتكبون المجازر ويتصرفون بالعنف تعويضا عن هذا الشعور وبعض الناس يفرّون من واقع المعاش ملتجئين الي الخيال و الأحلالم فقط و بعضهم يسعون وراء تطور حياتهم و البحث عن هويتهم المفقوده من خلال الحصول علي مكانة اجتماعية وغيرها. لماذا يختار البعض هذا وذاك، هذا يرجع الي نوعية الشخصية لدي الأشخاص

لقد صنف أدلر نمط الحياة لدى الفرد على أساس التغلب على المشاكل ودرجة الاهتمام الاجتماعي إلى أربع مستويات،

١- النوع الأول: المسيطر أو المتحكم
٢- النوع الثاني: الآخذ أو المتلقي
٣- النوع الثالث: المتجنب
٤- النوع الرابع: المفيد اجتماعيا

النوع الأول «هو الذي يظهر السيطرة والتحكم، ويتصرف دون اعتبار الآخرين، وإن كان لديه اهتمام اجتماعي فيكون بدرجة قليلة. وهذا النوع بدوره ينقسم إلى نوعين من الأفراد حيث يكون النوع المفرط منه أكثر قسوة، ويعمل على إيذاء الآخرين ومهاجمتهم، وربما يكون جانحا أو طاغيا.أما النوع الثاني وهو الآخذ أو المتلقي والذي يعتبره أدلر من أكثر الأنواع شيوعا، فيكون الفرد فيه معتمدا على الآخرين في إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه متوقعا أن يحصل على كل شئ من الآخرين. والنوع الثالث من أنماط الشخصية هو المتجنب الذي يتجنب المشاكل والاتصال بالآخرين والمحاولة، وهو لا يبدي أي محاولة لمواجهة تحديات الحياة وإيجاد الحلول لها، ومثل هذا النوع لديه ضعف من الاهتمام الاجتماعي. اما النوع الرابع وهو المفيد اجتماعيا حيث يتمتع الفرد بدرجة عالية من الاهتمام الاجتماعي فهو يتعاون مع الآخرين، ويسعى إلى تلبية حاجاتهم» (شولتز وشولتز، ٢٠٠٢م: ١٤٠٠).

كيف تتصرف الشخصية النسوية أمام المهالك والمشاكل والصعوبات التي تحملها المجتمع الذكوري، كيف تقاوم او تخضع أمام ما فرض عليها المجتمع وكيف تتعامل مع واقع المعاش ،كل هذه التصرفات وردود الأفعال من جانب المرأة تتشكل نمط واسلوب حياة الشخص للتعويض عن الشعور بالنقص و الإحباط التي طرأ عليها الأطراف المختلفة منها المجتمع و الأسرة وغيرها.

ممكن أن نقسم آليات التعويض عن الشعور بالنقص بالسلبي والإيجابي، من آليات التعويض السلبي التي لا تنتهي بنتيجة الا طمس الحقيقة وكتمانه، هي التعويض الوهمي والفرار من الواقع وآليات التعويض الإيجابي هي السعي وراء التطور والتغيير في الحياة والبحث عن الهوية المستقلة.

التعويض الوهميّ

إن أحد أنواع التعويض السلبي هو التعويض الخيالي أو الوهمي، ففي هذه الحالة يجنح الفرد إلى عالم الخيال ولتعويض عجزه يعتمد على التصور والأحلام. «الهروب إلى عالم القراءة والتمثيل أو الاستمتاع بما يحسن الجمال أو اللجوء إلى النشاطات غير المثمرة، مثل : جمع المجموعات وطرق البحث عن الرفاهية والرخاء والأناقة إلخ ...كلها من العوامل التي تساعد على التعويض الوهمي» (منصور، ١٣٩٢ش: ٤٥).

كانت منى تعيش تمزقًا جليًا بين الموجود والمنشود، مما أنشأ لديها مشاعر متناقضة بالنسبة للبيئة التي حولها ، فكانت تلجأ للخيال كثيرا، ومما ساعدها في ذلك جمال الطبيعة القروية الخلابة، فكانت على الرغم من أنها تعشق الأرض، وتعشق الطبيعة إلا أنها كانت تنفر من العادات والتقاليد المسيطرة على القرية، وتسعى في أحلامها أن تهرب من مشاعر النقص والنبذ والانزواء التي تشعر بها في بيئتها؛ لذا كانت تهرب من الواقع في قوقعة ذاتها؛ لتبحث عن حبها وحب جميع فتيات القرية الضائع، إن الحب كان حلقتهم المفقودة التي ضاعت في عالم النسيان وسط زحام العادات والأعراف البالية: «كان الحب أنشودة خيالية... كنتُ أرسم له صورة بين الصور الكثيرة المرصوفة في خيالي، حتى بات هذا الرسم الوهمي هواية اجتهدتُ في إتقانها؛ لأفزع إليها كلما ضاقت أنفاسي، ومات الأمل الأخضر في عينيّ» (نصرالله، ١٩٩١م: ١٣٦).

فيمكننا أن نعتبر طريقة شخصية منى في تعويض مشاعر النقص عندها من نوع التعويض الوهميّ، فصورة المدينة التي صاغتها منى في مخيلتها هي صورة وهمية، فالمدينة بالنسبة لها بمثابة مكان للنجاة والطموح والتحرر من القيود ومكانٌ: « تزول الشقوق من الأنامل والأقدام. تبقى القمصان بيضا، ولا يغمسها العرق» (المصدر نفسه،٢٢٦). تواجه منى من خلف ستائر الخيال عالما مجهولا لا تعرفه بوضوح، وكانت تعتقد أنها تستطيع أن تصل في مدينتها المثالية للسعادة والأمان، وتخفف من الفراغ والحرمان المعاش في القرية: « في المدينة أدفن قلقي وحيرتي وأودّع وحدتي القاسية» (المصدر نفسه، ٢٢٧).

من وجهة نظر أدلر: «الإنسان يلجأ للأوهام؛ ليكوّن لنفسه عالما مليئا بالتفوق والسعادة، ويحصل على أحلامه بعيدة المنال بسهولة، فالشخص المصاب بمشاعر النقص يهرب من الواقع، ويغوص في عالم الأوهام والتصورات» (منوشهريان، ١٣٦٨ش: ٤٧). إن نظرة منى للمدينة باعتبارها ملجأ مثاليا تكونت على أساس قوى تخيلية ذهنية لم تكن واقعية.

و في رواية كولي كنار آتش بطلة الرواية آينه تراودها أحلام تحكي ما حرمت منه وما تم قمعه من رغبات وآمال في حياتها وبما أن الأحلام هي الطريق الأمثل الي اللاوعي فتسمح لها بإلقاء نظرة عالجة علي ما تتمناه في لاوعيها:«كان الصبي جالسا علي الرمل واضعا يده علي كتيب ويصرخ بصوت عالٍ... أماه... لص... وكان يريد أن يهدأ حتي العيون السوداء التي تراقبه من شقوق الخيمة تدعه و شأنه»(رواني بور، ١٤و١٣٨٢:١٥).

وأمّا أحلام آينه فتقتصر علي دخولها المدرسة كالناس العاديين الذين يسكنون المدينه وبناتهم تذهبون الي المدرسة، ولكن القافلة التي ولدت فيها آينه لم تسمح لها القيام بذلك.فثمة اختلاف بين شخصية مني وآينه في أحلامهما، مني تحلم بالهروب وتسعي للتخلص عن قيود القرية ولكن آينه طالما كانت في القافلة لم تحلم به ولم تسعي ولكن بعد طردها عنها وتعرّفها علي بعض الصديقات المنفتحات، بذلت جهدها في الابتعاد عن شخصيتها الضعيفة القديمة وفي بناء شخصية جديدة ومتطورة.

الهروب من الواقع

وكذلك من آليات التعويض السلبي، الفرار من الواقع والإبتعاد عن حقيقة المعاش حتي يجعل من الإنسان شخصية متزلزلة لا تستطيع أن تقاوم أمام عواصف الحياة.

من خلال أحداث رواية طيور ايلول نفهم أنه من قبل أن تأخذ منى قرارا نهائيا للهجرة من القرية، ذهبت في يوم من الأيام متوجهة بقصد الهروب إلى الصخرة التي كانت تحدد الفاصل بين القرية والعالم الآخر، ولكنها لم تتجرأ على الخروج من القرية، ربما مازالت القصص والأساطير المسيطرة على أجواء تلك القرية تشدها إلى هذه البيئة بالإضافة إلى أن العالم الذي تعرفت إليه من خلال الكتب التي قرأتها أو تصورته من أحاديث المهاجرين مازال في هالة من الإبهام لديها؛ لهذا فضلت أن تبقى في الحد بين العالم التقليدي في القرية والعالم المعاصر في المدينة. لقد كانت تعلم منى جيدا أنها لكي تبقى في القرية عليها أن تتقيد بقوانين القرية، لذا لم تستطع أن تأخذ قراراً قاطعا للهجرة من القرية، وانطلاقا من هذا في اليوم الذي قررت أن تترك فيه القرية بصورة جدية؛ لتصل للكمال وتثبت ذاتها وهويتها وشخصيتها المنفردة ومكانتها، كانت تعلم أن هذه آخر مرة يخرج أهل القرية لتوديعها، وليس لها مكانا في القرية بعد ذلك: « لقد رفضتني القرية لحظة انسحبت من وجودها لأغرس قدميّ في تربة غير تربتها» (نصر الله، ١٩٩١م: ٢٤٤).

وكما أشرنا أنه لم تصل منى في العالم الجديد للكمالية المرجوة، حيث ظهرت لها المدينة بغير الوجه الذي تحلم به، ولم تملك القدرة على التآلف مع بيئة المدينة الجديدة؛ لذا بقيت في عالم ما بين القرية والمدينة، واعتبرت نفسها الخاسرة في هذا المجال: « بطلة حائرة في حلبة الصراع» (نصرالله:١٩٩١، ٢٤٥).

أما بالنسبة لآينه فهي بعد أن انتبذت عن القافلة، فرتّ الي المدينة تعويضا عن الشعور بالنقص الذي داهمها من خلال ردود الافعال التي أبرزتها المجتمع الرجولي وقضت مدة طويلة من عمرها متشردة بين المدن المختلفة حتي اختلطت برجال ونساء بائسات كانوا ينامون بين المقابر ويجدون طعامهم بين قمامات الناس. قصدت آينه المدينة فرارا من واقعها الرهيب باحثة عن هويتها المفقودة ومكانتها الحقيقية في المجتمع. فلذلك أخذت تبحث عن المسافر، لأن الهوية الحقيقية للمرأة في المجتمع التقليدي هو الزواج.الا إنها ما لقيت في المدينة الا العذاب والحرمان وانتهاك الحرمة من جانب الرجال، ولم تجد المسافر فرميت بنفسها في البحر لتنتحر ولكن انقذها الناس.

المقاومة والجهد

من آليات التعويض الايجابي هي المقاومة والجهد وراء النجاح والتمكن من الحصول علي الهوية المفقودة من خلال إملاء الفراغات الذاتية والاجتماعية لدي الشخصية. مني بطلة قصه طيور ايلول وآينه بطلة قصة كولي كنار آتش كلاهما في طريق الكمال توسّلتا بآليات التعويض السلبية بين آونة وآونة. ولكن في نهاية المطاف إنهما اختارتا السباحة ضد التيار وخلق عالمهما الخاص.

نري مني كمثيلاتها من فتيات القرية تعرفت عن طريق المهاجرين العائدين للقرية لقضاء عطلاتهم في الإجازات على بعض الأجهزة الحديثة والتكنواوجيا المعاصرة ورفاهية العيش في المدينة مثل الإذاعة التي دخلت بيوت القرية، فالصورة التي رُسمت في أذهان فتيات القرية عن الهجرة هي صورة جميلة تعبر عن أشكال الرفاهية والثراء؛ لذا تشكلت لديهن الرغبة في الهجرة والتحرر من تقاليد القرية القاسية والفقر والعقليات الخرافية: « السفر هو السبيل الوحيد للهرب من هنا من أتون الشقاء» (المصدر نفسه، ١٧٧).

ولم تستثنَ منى عن مثيلاتها من بنات القرية، فهي أيضا كانت ترغب في الهجرة والتحرر، مع العلم أن شجاعتها في إبداء رأيها وأفكارها وأحلامها كانت أكثر من صديقاتها وبنات القرية، وكانت وجهة نظرها بالنسبة لطقوس القرية تختلف عن كل بنات جيلها: « لست أدري ماذا؟ غير أني بقيتُ أنتظر، وأهرب من التفكير في مصيري ضمن تلك الحدود الضيقة» (نصرالله،١٩٩١م: ٢٠٢).

لم تكن منى كسائر الشخصيات النسائية في الرواية فهي تبحث عن ذاتها وهويتها وأحلامها، وقررت منى لتعويض مشاعرها بالنقص التي تكونت لديها بسبب كونها أنثى في المجتمع القروي أن تهاجر إلى المدينة، وتكمل تعليمها حيث كان هدفها الدراسة والتحرر من القيود المجتمعية في القرية؛ لتكون شخصية مستقلة؛ لذا بذلت قصارى جهدها للوصول لذلك الهدف.

أما آينه كما قلنا فكانت شخصية ضعيفة يلعب بها الرجال حتي وإن وصلت الحالة بها الي درجة خضعت لمصيرها المحتوم وعرضت نفسها للموت. لكنّها بعد أن تعرّفت علي بعض الصديقات المنفتحات المثقّفات، شهدت شخصيتها تحولا عظيما وقررت أن لاتكون امراة ذات هوية تابعة تخضع لإغوائات الرجال وأن تأخذ زمام الأمور بيدها، صديقات مثل«نيلي»، فتاة من أسرة ثرية علّمتها القراءة والكتابة ومريم بنت سائق شاحنة ساعدها للوصول الي شيراز وهي كانت عضو الحزب الاشتراكي وكانت تتحدث لآينه عن الفقر وظلم النظام الملكي بحق الرعية. لقائها مع إمرأة محروقة من سكان المقبرة وهي كانت كذلك ضحية النظام الأبوي الذي قد رفضت تبعيته وكذلك حضورها في الكنيسة وما سمعت فيها من وصايا مسيح (عليه السلام) علي لسان الأب «يوحنا» وفي النهاية اتصالها بـ«هانيبال»، رسّام كبير علّمها الرسم، فأصبحت هذه العلاقات آليات اتخذتها آينه للتعويض عن شعورها بالنقص والإحباط. كأنها تسلحت بأسلحة الشجاعة لتقاوم وتتابع نضالها ضد الظلم بحق الناس وخاصة النساء. كتاب وجامعة ومحافل سياسية طلابية أصبح كلهم جزأ لا يتجزأ عن قاموسها الفكري حتي نري أنها تدعو كذلك مثيلاتها مثل قمر وسحر الي أن لا يلبسن لباس الأموات بل يتحدثن عن الأحياء و يدفعن تكاليف الحياة عن طريق بيع الكتب أمام الجامعة بدل بيع أثواب الموتي.(رواني بور، ١٣٨٢:٢٣٥)

النتائج

بعد دراسة شخصية منى وآينه في ضوء نظرية أدلر في علم النفس الفردي مع التأكيد على عقدة النقص والمقارنة بين هاتين الشخصيتين اللتين تعدّان الشخصيتن المحوريتن في قصه طيور ايلول وكولي كنار آتش، توصلنا إلى نتائج عدة اتضحت من خلالها المشتركات والإفتراقات لدي الكاتبتين:

١. بما أن الكاتبتين تنتميان الي بيئة شرقية فنري التشابه الثقافي والتقارب التراثي الفكري فيما بين بلديهما له أثر كبير في المشاركات الموضوعية والفكرية التي نجدها في أعمالهما.
٢. قد ركزّت الكاتبتان علي عوامل ايجاد الشعور بالنقص لدي الشخصيات وقامتا بالتحليل النفسي تحليلا عميقا لإدراك جذور الأزمات النفسية أو دليل تصرفات الشخصيات في القصة.
٣. المشاكل والأزمات التي تؤدي الي الشعور بالنقص لدي الشخصيات الأنثوية مشتركة بين الروايتين، إهمال الأسرة وعدم اهتمام المجتمعات القروية والقبلية بالنساء ومكانتهن الإجتماعية و تعرضهن للنبذ والتهميش، الفقر، الحب الفاشل وقصص الحب غير المكتملة، الخيانة من جانب الرجال، وسلب أدني الحقوق الطبيعية للمرأة مثل حقها في التعليم،كل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على إصابة منى وآينه بالشعور بالنقص. كلا الكاتبتين أيضا قد أشارتا الي تقاليد و سنن خرافية نابعة عن نظرة تقليدية ساذجة في المجتمعات الي تعيشها بطلة قصتهما.
٤. المرأة في رواية رواني بور أكثر مظلومية حيث يتم ضربها وسبّها وتعذيبها وطردها بأبشع الأشكال وواقعها مأساوي جدا في حال لم نر ذلك في رواية نصرالله. فالمرأة في طيور أيلول أعلي شأنا ومكانة من المرأة في رواية كولي كنار آتش.
٥. ولتعويض النقص والتخلص من هذا الشعور لجأت منى لاتخاذ آليات متعددة واستراتيجيات غير واقعية ومفرطة ومؤقتة. ومن ضمن هذه الطرق، التعويض الوهمي أو الخيالي، يعني اللجوء إلى تخيلات للخروج من الأزمات النفسية والروحية. وكانت منى تتصور المدينة بأنها الجو المناسب للحرية والتخلص من ورطاتها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، وأيضا لجأت إلى آلية الهروب من الواقع للتخلص من المشاكل. ولكن آينه مع أنها تتوسل لآليات التعويض السلبي مثل اللجوء الي الأحلام أو الفرار من واقع الحياة والقيام بالانتحار ولكن في نهاية المطاف تجد لخلاصها من هذه الأزمة طريقا إيجابيا وهو السعي الحثيث وراء الحصول علي المكانة الاجتماعية فهي قد حصلت لها من خلال انهماكها بالرسم. فلذلك نري الهدف الذي قصدتها آينه كان أكثر واقعية من الهدف الذي اتجهت مني نحوها. لأنّ مني رغم ذهابها الي المدينة وإكمال الدراسة فيها ورغم أنها حازت علي المستوي العالي في الدراسة وحاربت المجتمع من أجل الوصول

الي غايتها ولكن لم يتحقق لها ما رغبته بكامله، فلذلك بقيت الهوية ضالتها الوحيدة في الحياة.

هوامش البحث

1- individual psychology
2 - personality theory
3 - Alfred adler
4 - superiority complex
5 - consummate love

قائمة المصادر والمراجع

١. أدلر، آلفرد. (١٣٦١ش). روانشناسي فردي. ترجمه حسن زماني شرفشاهي. تهران : پيشگام.
٢. ـــــ.(٢٠٠٥م). معني الحياة. ترجمه عادل نجيب بشري. ط١. قاهره: المجلس الأعلي للثقافة.
٣. ـــــ(٢٠٠٥م). الطبيعة البشرية. ترجمه عادل نجيب بشري. ط١. قاهره: المجلس الأعلي للثقافة
٤. آنسباچر، هينزال. (١٣٥٩ش). «سبك زندگي: مروري تاريخي و نظام مند». ترجمه امير قرباني. مجله طعم زندگي. شماره ١. صص٩- ٣٤
٥. اس‌پربر، مانس. (١٣٧٩ش). تحليل روانشناختي استبداد و خودكامگي. ترجمه علي صاحبي. چاپ دوم. تهران: انتشارات ادب و دانش.
٦. احمدي خراساني، نوشين. (١٣٨٤ش). زنان زير سايه پدر خوانده ها، چاپ هفتم، تهران: توسعه.
٧. ايگلتون، تري. (١٣٦٨ش). پيش درآمدي بر نظريه ادبي. ترجمه عباس مخبر، تهران: نشر مركز.
٨. پروچسكا، جيمز او و نوركراس جان سي. (١٣٩٩ ش). نظريه‌هاي روان درماني. ترجمه يحيي سيدمحمدي، چاپ يازدهم، تهران:رشد.
٩. سواري، فائزة وآخرون.(٢٠٢٠م). تجليات النسوية ولغتها في أعمال كوليت خوري ومنيرورواني بور. مجلة اضائات نقدية. العدد السابع و العشرون. صص ١٠٣ تا ١٣٠
١٠. رواني بور، منيرو. (١٣٨٢). كولي كنار آتش. چاپ پنجم. تهران: نشر مركز

١١. سيأسي، علي اكبر. (١٣٨٨ش). نظريه‌هاي شخصيت با مكاتب روانشناسي. چاپ هشتم. تهران: مؤسسه چاپ و انتشارات دانش‌گاه تهران.
١٢. شارف، ري‌چارد اس. (١٣٨٩ ش). نظريه‌هاي روان درماني و مشاوره. ترجمه مهرداد فيروز بخت. چاپ پ‌نجم. تهران: مؤسسه فرهنگ‌ي رسا.
١٣. شميسا، سيروس. (١٣٨٨ش). نقد ادبي. چاپ سوم. تهران: نشر ميترا.
١٤. شولتز، دوان پ‌ي و سيدني الن شولتز. (١٤٠٠ش). نظريه هاي شخصيت. ترجمه يحيي سيد محمدي. چاپ چهل و پ‌نجم. تهران:ويرايش
١٥. صادقي، مسعود و همكاران. (١٣٩٢ش). «بررسي تأثيرآموزش به شيوهٔ تحليل رفتار متقابل بر سبكهاي عشق ورزي زوجين. پژوهشهاي علوم شناختي و رفتاري». سال سوّم. شمارهٔ ٢. صص٨٤-٧١.
١٦. صنعتي، محمد و ساموئل بكت. (١٣٨٢ش). تحليل روانشناختي در هنر و ادبيات، مجموعه مقالات محمد صنعتي و جنب و جوشهاي ايستا اثر ساموئل بكت. چاپ دوم.تهران: نشر مركز.
١٧. عبدالمنعم، حفني. (١٩٧٥م). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. ج١. القاهرة: مطبعة مدبولي.
١٨. فيروزآبادي، سيد احمد؛ عليرضا صادقي. (١٣٩٢ش). طرد اجتماعي؛ رويكردي جامعه شناسي به محروميت. جامعه شناسان:تهران.
١٩. فيروز بخت، مهرداد و علي حسين سازمند. (١٣٩٣ش). آلفرد أدلر. گستره نظريه شخصيت و روان درماني. چاپ اول. تهران: دانژه.
٢٠. فيست، جس و گ‌ري‌گ‌وري جي فست. (١٣٨٨ش). نظريه‌هاي شخصيت. ترجمه يحيي سيد محمدي، تهران: نشر روان.
٢١. فيلي‌پ لوييس، جان و كارن مك دونالد لوييس. (١٤٠٠ش). فرزند پروري باكفايت. ترجمه سيد مهدي موسوي موحد. چاپ پ‌نجم. تهران: ارجمند.
٢٢. كرن، روي؛ دنيل اسكتين. (١٣٨٩ش). ارزيابي و درمان سبك زندگ‌ي: رويكرد روانشناسي أدلر. چاپ اول. تهران: نشر رسش.
٢٣. كريمي، يوسف. (١٣٩٠ش). روانشناسي شخصيت. چاپ بيست و چهارم.تهران: پيام نور.
٢٤. لعبيدي، ناظم هاشم. (١٩٩٠م). علم النفس الشخصية. بغداد: مطابع التعليم العالي.

٢٥. منصور، محمود. (١٣٩٢ش). احساس كهتري، به انضمام بررسي‌هاي باليني أدلر، نظريه‌هاي بنيادي، تك بررسي‌هاي باليني. چاپ چهارم. تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
٢٦. منوچهريان، پرويز. (١٣٦٨ش). عقده حقارت. چاپ اول. تهران: انتشارات گوتنبرگ.
٢٧. مهدوي كني، محمد سعيد.(١٣٩٠ش). دين و سبك زندگي، مطالعه موردي شركت كنندگان در جلسات مذهبي. تهران: دانشگاه امام صادق.
٢٨. نصرالله، اميلي. (١٩٩١م). طيور ايلول. چاپ هفتم.بيروت: نوفل.
٢٩. هجل، اي. لاري؛ دانيل جي زيگر. (١٣٧٩ش). نظريه‌هاي شخصيت. ترجمه علي عسگري. چاپ اول. ساوه: دانشگاه آزاد اسلامي ساوه.
30. Adler.Alfered. 1956.The individual psychology of Alfred Adler. New York: basic Books.
31. Rogers.Carl.(2004). on becoming a person: A Therapist's View of Psychotherapy. Constable & Robinson Ltd.
32. Sternberg, Robert J. (1986). A triangular theory of love. Psychological Review.Vol. 93. No. 2. 119-135